

## كل مصيبة بعدك جلال يا رسول الله

### الشيخ الدكتور محمد ياسر القضماني

عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: مرَّ رسول الله ﷺ بامرأةٍ من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين؛ قالت أرونيه حتى أنظر إليه؟! قال: فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت: كلُّ مصيبة بعدك جلال! (تريد صغيره) <sup>1</sup>

لله دُرُّك أيتها المرأة الدَّينارية!

من ذا الذي ثبَّتكَ في موقف تطيش فيه الأبواب، وتختلط لهوله العقول!

امرأةٌ ينعى إليها أقرب الخلق إليها وأحبَّهم وأكرمهم فتذهل عنهم لا لهوانهم عليها، ونأيهم عنها، لا؛ وإنما لأن هناك مَنْ فَضَّله أكبر، وشأنه أشهر، وقدْرُه أظهر، ونورُه أبحر، وعرفه أعطر، إنه محمدٌ رسول الله!

بل ما فضَّل أحد من الخلق بجوار فضله، وشأن أحدٍ بجانب شأنه؟

فهو الأحبُّ من كلِّ حبيب، والأقربُ من كلِّ قريب!

إنه موقفٌ وكلمةٌ من خالط الوحي فؤادها وتشرب الحقَّ كيانتها كلُّه، فلا تجد في ذاتها، بل قلُّ في كلِّ ذرَّةٍ من ذرَّات بُنيانها إلا تمكَّنَ سلطان الرِّسالة، وهيبة النبوة، فقد امتزج فيه بهاءُ الجمال وسطوة الجلال، في أتمَّ حاليهما وأكملهما.

ومن هنا فدَّوه بأبائهم وأمهاتهم وأبنائهم وأزواجهم وعشائهم؛ فبقاؤه بقاء الرِّحمة المهداة والنَّعمة المسداة للعالمين.

ومهما أصيب الناس بمصاب؛ فلو ذكروا مصابهم به ﷺ لتعزَّوا به، ولهان عليهم كربهم.

<sup>1</sup> السيرة النبوية لابن هشام 99/3 بتحقيق السقا والأبياري وشلي. طبعة دار المعرفة . بيروت . لبنان

نعم - صدقت - كل مصيبة دون المصيبة به هيئة حقيرة!

وبعد فقد في عالم الأشباح للعامة؛ كل مصيبة تهون بجانب مصيبة الدين؛ دين ذلك الذي ملأ عليهم حسهم وجوارحهم.

حتى إذا ما أتم الله به النعمة، وأكمل الدين، ورضي الإسلام لنا من خلاله، وفي ظل ركابه؛ رحل مطمئناً حامداً شاكراً مستغفراً.

إن اجتماع المثل في شخص لازم لتتم به الحجّة على الناس، ولتترجم الهداية أقوالاً وأعمالاً؛ برهاناً على أن هذه الملة والشريعة ليست بمنأى عن الحياة وأتعابها، والأرض وطينها وكدرها.

إن هذه الشريعة ما تمثّلت في شخوص تعلّقت بذلك الخاتم الحجّة، الذي تعلقت به تلك المرأة في قبيل من الرجال والنساء آثروه على أنفسهم وأرواحهم، فعزّوا به بعد أن كانوا أهون الناس، وسادوا به بعد أن كانوا أحقر الخلق.

نعم! ما تمثّلت هذه الشريعة في أشخاص منّا نذروا أنفسهم للمتابعة، وأرخصوها في السبيل الحقّ، وفي المنهج الحقّ؛ إلا صار لنا مثل الذي صار لهم، وآل لنا مثل الذي آل لهم، وانظروا ما أخلف الله موعده!

لقد ملأنا الأرض برجال منّا ونساء، ما كان همّهم همّ تلك المرأة، وما كان دأبهم دأب تلك المرأة! امرأة، امرأة، صنعت ذلك الصنيع، ووقفت ذلك الموقف فأين تضحياتكم من تضحياتها، وأين بذلكم من بذلها، وأين نظرتكم للحياة والكون من نظرتها، وثقل مسؤوليتها!

ولعمري، إنها لأوبة نشهدتها تترأى لنا بركاتها من هنا وهناك، لأناس بدؤوا يستشعرون هويّتهم، ويراجعون دينهم، في خضمّ ما تُؤدّب عليه الأمة في بيت المقدس وأكنافه!!

إنها آلام نتجرّعها ونذوق من لذع مرارتها، ولكن لها حتماً ما وراءها من حياة أهنأ مع الله، وأسعد مع رسوله.